دراسات تاريخية المجلد العاشر العدد الثاني السنة1444هـ/2022م ص ص 199-213

مجلة دراسات تاريخية

NISSN: 9741-2352 EISS :6723-2600

# الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين (448-668هـ/1056-1269م)

# *Religious and social reform among the Almoravids and Almohads (448-668 AH / 1056-1269 AD)*

د.بن حاج ميلود

جامعة زيان عاشور بالجلفة –الجزائر

m.benhadj@univ-djelfa.dz

الارسال: 26-04-2021 القبول : 24-02-2022 النشر:2022/10/03 المرسل: بن حاج ميلود

الملخص:

**تتناول هذه الدراسة موضوع حركات الإصلاح الديني والاجتماعي عند المرابطين والموحدين في المغرب الإسلامي من خلال عرض نموذجين للدولة المرابطية قام بهما كل من الفقيه يحيى بن إبراهيم الجدالي، والفقيه عبد الله بن ياسين، وأما النموذج الموحدي فتمثل في الدعوة التي قام بها المهدي بن تومرت.**

**ولقد جاءت هذه الحركات لإصلاح المجتمع المغربي من بعض الآفات الاجتماعية، والانحرافات الدينية التي انتشرت قبيل قيام دولتي المرابطين، والموحدين كتفشي الانحلال الخلقي، وانتشار آفة السرقة، والزنا، وبعض الممارسات الشركية...الخ.**

**ومن أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة أن حركة الإصلاح التي قام بها المرابطون تمثلت في القضاء على تلك الآفات الاجتماعية بتعليم المجتمع أمور دينهم، وتصحيح عقيدتهم.**

**وأما الإصلاح عند الموحدين فقد تمثل بشكل أخص الجانب العلمي من خلال فتح باب الاجتهاد الفكري في علم الكلام.**

**الكلمات الدالة :** الإصلاح؛ المرابطون؛ الموحدون؛ المغرب الإسلامي.

Abstract

This study deals with the issue of the movements of religious and social reform among the Almoravids and the Almohads in the Islamic Maghreb by presenting two models of the Almoravid state by each of the jurist Yahya bin Ibrahim Al-Jadali and the jurist Abdullah bin Yassin, and as for the Almohad model, it is represented by the call made by the Mahdi bin Tumart.

These movements to reform Maghreban society came out of some social ills and religious deviations that spread prior to the establishment of the Almoravid and Almohad states, such as the spread of moral decay, the spread of the scourge of theft, adultery, and some polytheistic practices ... etc.

One of the most important results reached in this study is that the reform movement carried out by the Almoravids was to eliminate these social ills by educating society about their religion and correcting their beliefs.

As for reform among the Unitarians, it represented the scientific aspect more specifically by opening the door to intellectual ijtihad in the science of theology.

Keywords: Islah. the Almoravids. the Almohads. the Islamic Maghreb.

**مقدمة:**

شهد التاريخ الإسلامي ظهور حركات إصلاحية دينية واجتماعية كانت تهدف إلى تقويم بعض التصرفات المنحرفة عن مقاصد الدين الإسلامي الصحيح؛ فالإصلاح هو حركة واعية غرضها مواجهة وضعا مترديا مس الدين، والمجتمع، ولقد حفل التاريخ الإسلامي بالكثير من تجارب الإصلاح، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تجربة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز التي قامت على أساس سياسي وهو إقرار العدل بين الرعية ورد المظالم، وكذلك تجربة الخليفة العباسي المأمون التي قامت على أساس ثقافي من خلال إحداث ثورة فكرية في المشرق الإسلامي بتشجيع الناس الإقبال على العلم والترجمة، وأما العالم المفكر، والمجدد المصلح أبا حامد الغزالي؛ فقد كان مشروعه الإصلاحي اجتماعي وديني من خلال محاربة البدع، والأهواء بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتجديد الإيمان إذا هذه بعض النماذج من مشاريع الحركات الإصلاحية في المشرق؛ فما هي المشاريع الإصلاحية التي ظهرت في المغرب؟

من الإشكال الأخير جاءت هذه الدراسة لتعالج نماذج للحركات الإصلاحية التي ظهرت في المغرب الإسلامي من خلال عرض، ودراسة تجربتي المرابطين والموحدين فعند المرابطين برز شخصيتين شهيرتين في هذا المجال وهما: الفقيه يحيى بن إبراهيم الجدالي والفقيه، والسياسي والقائد الحربي عبد الله بن ياسين، وأما عند الموحدين فقد تمثل المشروع الإصلاحي الوحيد بفضل جهود الداعية المهدي بن تومرت؛ وفيما يلي عرض وتقييم تلك المشاريع الإصلاحية مع إبراز أبعادها الجوهرية دينيا، واجتماعيا، وحتى سياسيا.

**1/-نبذة موجزة عن نشأة دولتي المرابطين والموحدين:**

**أ)-دولة المرابطين(448-541هـ/1056-1147م):**

تاريخ دولة المرابطين يبدأ في جناح المغرب الأيمن في صحراء شنقيط (موريتانيا حاليا) والتي تحدها جنوبا بلاد السودان حيث مملكة غانا، وفي الغرب بحر الظلمات(المحيط الأطلسي)، وفي الشرق نهر النيجر عندما يلتوي شمالا إلى جهة تمبكتو، وفي الشمال منطقة سجلماسة (تافيلالت)، وفي هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل صنهاجة الجنوب تمييزا لقبائل صنهاجة الشمال التي أسست الدولة الزيرية في افريقية، والحمادية في المغرب الأوسط، والدولة الزيرية في غرناطة في عصر ملوك الطوائف، وكانت صنهاجة الجنوب تختلف عن صنهاجة الشمال بأن أهلها كانوا يتلثمون، لهذا سميت بصنهاجة اللثام، ومن أشهر فروع قبائل صنهاجة اللثام قبيلة لمتونة في شمال الصحراء، وتليها جنوبا مسوفة، ثم جدالة بالقرب من نهري السنغال والنيجر، وساحل بحر الظلمات[1].

**-أسباب قيام دولة المرابطين:**

ولقد قامت دولة المرابطين نتيجة لعدة أسباب منها:

**-سياسي:** نتيجة ضغوط مملكة غانة التي أجبرت الملثمين التراجع إلى الشمال بسبب الحروب من أجل السيطرة على طرق القوافل التجارية في الصحراء، فضايق المرابطون الزناتيين في سجلماسة وناحيتها، كما أن الاضطراب في الشمال بين القوى المتصارعة من أهم الأسباب التي سهلت قيام دولة المرابطين.

**-اقتصادي:** يكمن في السيطرة على الطرق التجارية وبالتالي جلب مورد مالي من خلال فرض الضرائب من القوافل المارة.

**ب)-دولة الموحدين (541-668هـ/1147-1269م):**

يعود تأسيس دولة الموحدين إلى جهود المهدي بن تومرت(ت524هـ/ 1130م)[2] ، الذي ينتمي إلى قبيلة هرغة إحدى فروع قبائل المصامدة البربرية ببلاد السوس في جبال الأطلس بالمغرب الأقصى، ويبدوا أن نجاح عبد الله بن ياسين في إنشاء دولة دينية متمثلة في دولة المرابطين التي قامت على أكتاف قبائل صنهاجة، قد حفز الفرع الآخر من قبائل البرانس البربرية، والمتمثل في المصامدة بالقيام بدعوة مماثلة نادت بالتجديد في الدين الإسلامي؛ إذ في سنة515هـ/1122م ظهر المهدي بن تومرت (ت524هـ/ 1130م) بدعوته لتشويه المرابطين، فقد اتهمهم بالمروق عن الدين، والتجسيم؛ فاضطربت الأمور على المرابطين وأستطاع المهدي بن تومرت وأتباعه أن يضعفوا من قوة دولة المرابطين إلى أن سقطت نهائيا بيد الموحدين سنة 541هـ/ 1147م[3].

**2/-الحركة الإصلاحية عند المرابطين والموحدين:**

**أ)-التجربة الإصلاحية عند المرابطين من خلال جهود الداعيتين يحي بن إبراهيم الجدالي وعبد الله بن ياسين:**

يعد السبب الديني العامل الأبرز في قيام دولة المرابطين، فقد تفشى الانحلال الأخلاقي في المجتمع المغربي كتفشي السرقة، وشرب الخمر، وانتشار الزنا، بسبب نشر تأثير البرغواطيين الذي افسدوا عقائد جيرانهم من سكان الساحل، زيادة على الصراع بين المغراويين واليفرنيين في فاس الذي أثر على الحالة الاقتصادية بالبلاد؛ فانهارت القيم الأخلاقية، لهذا قام المرابطون بمواجهة هذه الأزمات، والأخطار بنشر الإسلام، وحدوده من خلال تأسيس دولة إصلاحية دينية واجتماعية امتدت من طنجة شمالا إلى نهر النيجر جنوبا، ومن وادي الشلف شرقا إلى بحر الظلمات غربا بالإضافة إلى ضم الأندلس[4].

ترجع بداية الحركة الإصلاحية للمرابطين قبل قيام دولتهم إلى شخصيتين صنهجيتين وهما: يحي بن إبراهيم الجدالي زعيم الملثمين، والفقيه عبد الله بن ياسين.

فأما يحي بن إبراهيم الجدالي فقد تأثر بحالة الجهل التي سادت في قومه فرحل إلى الحج سنة 427هـ/ 1036م، وفي طريق عودته حل بمدينة القيروان، وجلس يستمع إلى دروس شيخ المالكية في وقته أبي عمران الفاسي فتأثر به وتاقت نفسه بأن يرى فقيها في بلاده مثله، يلقي الدروس ويعلمهم الكتاب والسنة، ويفقههم في الدين؛ فطرح هذا الأمر على الفقيه أبي عمران الفاسي، ورجاه أن يبعث معه طالبا من طلابه لتحقيق أمنيته؛ فكتب له كتابا إلى أحد تلاميذه بفاس، وهو: "وجاج بن زلو اللمطي"، الذي كان قد تلقى عنه العلم بالقيروان

وأسس بعد رجوعه إلى فاس مدرسة "أجلو" لتدريس العلم، واختار الفقيه وجاج لهذه المهمة تلميذه عبد الله بن ياسين الذي قبل هذه المهمة، ونزل إلى قبائل صنهاجة الجنوب، وبدأت جهوده الدعوية الإصلاحية السلفية القائمة على المذهب المالكي، وأطلق على أتباعه اسم المرابطين[5].

وأما عبد الله ياسين فهو صنهاجي من قبيلة جزولة، كان قد رحل إلى الأندلس في عصر ملوك الطوائف، ودرس العلم بقرطبة حوالي سبع سنوات ثم أتم دراسته على يد وجاج بن زلو وعندما قصد جدالة بدأ يعلمهم أصول الدين، ويهذب أخلاقهم، ووضع لهم نظاما للآداب العامة، واستعمل معهم الشدة، لكنه لم يوفق مع الجداليين؛ فقد كانوا أهل فوضى، وجفوة فثاروا ضد عبد الله بن ياسين، وأخرجوه من بلادهم، لأنهم لم يتحملوا عنفه، وشدته كما أنهم أحرقوا داره، فانتقل إلى قبيلة لمتونة سنة 430هـ/1039م، وكانت قبيلة لمتونة أميل إلى النظام، والتماسك، ولما توفي الزعيم الجدالي يحيى بن إبراهيم اختار عبد الله بن ياسين لصنهاجة الزعيم اللمتوني أبا زكريا يحيى بن عمر، وقد كان اختيار الزعيم الجديد من قبيلة لمتونة لعدة دوافع من بينها موقع هذه القبيلة الجغرافي المتحكم في الطرق الشمالية المؤدية إلى المغرب، زيادة على تميز أهل لمتونة بالشجاعة، والشدة في القتال، ولأنها أكثر القبائل الصنهاجية انقيادا له[6].

انتفضت جدالة بعد أن خرجت زعامة صنهاجة منها إلى قبيلة لمتونة، فدخلت في حروب ضد قبيلة لمتونة كان من ضمنها الهجوم الذي شنته قبيلة جدالة على جبل لمتونة سنة 448هـ/ 1056م والذي أسفر عن مقتل زعيم صنهاجة اللمتوني أبي زكرياء يحيى بن عمر وعدد كبير من رجاله، فأسندت زعامة صنهاجة لأبي بكر بن عمر اللمتوني الذي خلف أخاه يحيى بن عمر في زعامة المرابطين[7].

وبعد أن اخمد تمرد قبيلة جدالة خرج المرابطون من الصحراء يقودهم زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين، وقائدهم الحربي أبو بكر بن عمر اللمتوني؛ فاتجهوا أولا إلى السوس فاستولوا على قاعدتها تارودانت؛ فقضوا على الشيعة والوثنيين كما قاتلوا اليهود المنتشرين بتلك المناطق، ثم اتجهوا إلى بلاد الحوز واستولوا على عاصمتها أغمات، وقد نتج عن هذا الفتح أن قتل أمير أغمات لقوت المغراوي، وتزوج الأمير أبوبكر بن عمر أرملته زينب النفزاوية، وأختار المرابطون مدينة أغمات كعاصمة مؤقتة لهم نظرا لأهميتها الإستراتيجية، ثم انقسمت قوات المرابطين إلى قسمين: قسم اتجه إلى برغواطة تحت قيادة عبد الله بن ياسين وأبوبكر بن عمر اللمتوني، وقسم أخر اتجه نحو غمارة تحت قيادة يوسف بن تاشفين،ودارت معركة عنيفة بين المرابطين والبرغواطيين بالقرب من مدينة الرباط الحالية قتل فيها زعيم المرابطين الروحي عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م، وانفرد أبو بكر بن يحيى بالقيادة الروحية والحربية للمرابطين، واستكمل حملته على برغواطة فأخضعها، ونشر الدين الإسلامي السني فيها[8].

ونجح المرابطون في إخضاع الزناتيين سنة 461هـ/1068-1069م، وانتزعوا منها السيادة على إقليم تافيللت وعاصمته سجلماسة، ثم سيطروا على وادي نهر تانسيفت، والسهل الواسع الذي يجري فيه، وبهذا سيطر المرابطون على المغرب الأقصى، وعلى وادي نهر تانسيفت شرع أبوبكر بن عمر اللمتوني في إنشاء عاصمته الجديدة "مراكش" سنة 461هـ/ 1069م، وبينما كان أبوبكر بن عمر يبني في عاصمته حتى بلغته أنباء عن حرب قامت بين لمتونة، وجدالة في الصحراء؛ فترك الرياسة لابن عمه يوسف بن تاشفين ومضى إلى الصحراء، ولما عاد

لم يستطع استعادة رياسته، ووجد أن يوسف قد خضعت له البلاد، وضخم أمره، فأوصاه بالناس خيرا، وانصرف عائدا إلى الصحراء؛ ليواصل جهاده هناك، واستشهد في حربه مع الغانيين سنة 480هـ/1087م[9].

مما سبق ذكره فإن تجربة الإصلاح عند المرابطين التي قام بها كل من يحيى بن إبراهيم الجدالي، وعبد الله بن ياسين كانت داخلية، وخارجية؛ فأما الأعمال الداخلية تمثلت في: الحد من تفشي ظاهرة الانحلال الأخلاقي في المجتمع المغربي كشيوع السرقة، وشرب الخمر وانتشار الزنا، وأما خارجيا فتمثلت جهود المرابطين في وضع حد لتأثير جيرانهم البرغواطيين الشيعة الذين افسدوا عقائد سكان الساحل ككل، ومن الجهود العملية التي قاموا بها كما رأينا سالفا أن أسسوا حركة دعوية إصلاحية قائمة على نشر الدين الإسلامي السني الصحيح على المذهب المالكي؛ بفضل وفود الشيخ عبد الله بن ياسين الذي قام بإلقاء الدروس الدينية وتعليم قبائل جدالة، ولمتونة الكتاب والسنة، وتفقيههم في أمور الدين.

**أ)-التجربة الإصلاحية عند الموحدين من خلال جهود الداعية المهدي بن تومرت:**

قامت حركة الإصلاح عند الموحدين على أساس اتهام المرابطين بالتجسيم الذي يفسر الآيات القرآنية التي تشبه الذات الإلهية تفسيرا حرفيا، ونادت بأنه لا يمكن تصوير الله تعالى بالعقل البشري، وهو فوق التشبيه، وأن الله منزه عن التشبه بالخلق، والقول بغير ذلك يعد كفرا، وإلحادا, لهذا أطلق المهدي بن تومرت على أنصاره، وأهل دعوته بـ:"الموحدين" ووضع لهم كتابا باللغة البربرية سماه: "المرشدة" يتناول فيه معرفة الله تعالى، والعلم بحقيقة القضاء، والقدر، والإيمان بما يجب لله تعالى، وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتضمن هذا الكتاب كذلك الأعشار، والأحزاب من السور، وقال لهم: "إن من لا يحفظ التوحيد، فليس بموحد، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته..."؛ فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن الكريم[10].

ومن خلال تتبع رحلة المهدي بن تومرت التعلمية إلى المشرق يتضح بأن حركته الدعوية كانت قد بدأت مبكرا قبل سقوط دولة المرابطين بأكثر من أربعين سنة إذ بعد أن درس المهدي ببلده بقبيلة هرغة بالسوس الأقصى، خرج لطلب العلم إلى مراكش، ثم انتقل إلى الأندلس سنة501هـ/1107م؛ فأخذ عن علماء قرطبة، وعلماء الأندلس ثم أبحر من المرية باتجاه المشرق؛ فدرس على علماء مصر بالاسكندرية كأبوبكر الطرطوشي الذي أخذ عنه في طريق الذهاب والعودة، ثم قصد العراق، فدرس عن بعض العلماء الفقه، وأصول الدين ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد ثلاث سنوات، وقيل بأنه درس بها على أبي حامد الغزالي وهناك من يقول أنه لقيه بالشام[11]، ثم قصد الحجاز؛ فحج بمكة المكرمة، وأخذ علم الشريعة والحديث النبوي، وأصول الفقه، والدين؛ وأقام بها مدة من الزمن يظهر التعبد، والزهد، والورع واشتهر فيها بالشدة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فأحدث فتنة، وتعصب عليه جماعة من مكة؛ فزج في السجن ثم أخرج منه، ونفي من بلاد الحرمين؛ فكر راجعا إلى المغرب[12].

**-بداية ظهور دعوة المهدي بن تومرت بالأمر بالمعروف والنهي في مصر والمغرب الأدنى:**

وفي طريق عودته إلى المغرب من رحلته المشرقية نزل ابن تومرت بالإسكندرية، ورأى فيها مناكير كثيرة مما جعله يعمل على تغييرها بالعنف والشدة، وقد كان ورعا، ناسكا متقشفا بساما في وجوه الناس، مقبلا على العبادة، فصيحا، أديبا، داهية، له قوة في الإقناع، مشهورا بنسكه، وزهده، وعلى قدر كبير من الشجاعة، وهي الصفات التي جعلته يؤثر في العامة وفي الإسكندرية أحدث بأسلوبه العنيف في الدعوة فوضى واضطراب؛ فنُفي من الإسكندرية وخرج منها قاصدا المغرب، وركب البحر في سنة 511هـ/1117م واستمر في دعوته، وهو على ظهر السفينة؛ إذ ألزم ركابها بإقامة الصلاة، وقراءة القرآن، واشتد في ذلك حتى قيل أن ركاب السفينة ألقوه في البحر، فلبث نصف يوم، وهو يسبح إلى جانب السفينة دون أن يصيبه شيء؛ فعظم أمره عند وأرجعوه إلى ظهر السفينة، وبالغوا في إكرامه[13].

ولما وصل إلى المهدية اتخذ المساجد مأوى له؛ فنهض للتدريس، وأقبل إليه طلاب العلم يقرؤون عنه مختلف العلوم، وواصل دعوته، ورد المناكر بكسر ما رآه من آلات اللهو،وأواني الخمر؛ فرفع أمره إلى أميرها العزيز بن الناصر حاكم الدولة الزيرية بين سنتي(509-515هـ/1116-1121م) فهم بالقبض عليه؛ ففر ابن تومرت إلى بجاية[14].

**- ابن تومرت يبث دعوته الإصلاحية ببجاية ولقاءه بعبد المؤمن بن علي الكومي بملالة:**

وصل ابن تومرت إلى بجاية سنة512هـ/1119م في عهد حاكمها الحمادي العزيز بن المنصور(498-515هـ/1105-1121م) الذي أحدث الفوضى بها بسبب دعوته التي استنكره فيها مظاهر البذخ، وفقد حضر بعض الاحتفالات؛ فرأى الاختلاط بين الرجال والنساء، والصبيان المتزينين، والمتكحلين ما لا يحل؛ فأحدث فوضى واضطراب بدعوته،ولما سأل العزيز أعوانه عن أسباب هذا الاضطراب، وجد أن سببه هو المهدي بن تومرت، وهو ما أغضب العزيز، وأمر بإخراجه من بجاية؛ فخرج متوجها إلى المغرب، ونزل بضيعة يقال لها"ملالة" على بعد فرسخ من بجاية، وأقام بها أشهرا يعقد مجالس العلم والوعظ، وفي دعوته كان ينشر أفكاره السياسية ضد الحماديين، والمرابطين، ولما هم العزيز بالقبض عليه؛ منعه قبائل "بني وریاكل" الصنهاجية[15].

وكان المهدي بن تومرت كلما فرغ من مجلسه للتعليم يجلس على صخرة بإحدى الطرق بالقرب من ملالة إلى أن جاء اليوم الذي مر عليه فتى جميل الوجه، حسن التكوين، وهو عبد المؤمن بن علي الكومي، وكان يقصد المشرق لغرض أخذ العلم؛ فأغراه المهدي بملازمته، وأنه سيثريه بما حصله من معارف بالمشرق، كما دعاه إلى للانضمام إلى دعوته، ومشروعه في الإصلاح بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وإحياء العلم؛ فوافق عبد المؤمن بمصاحبته، وانضم إليه[16]، والتقى ابن تومرت بملالة أيضا بعبد الواحد الشرقي(نسبة إلى شرق المغرب الأوسط)[17].

**-توجه المهدي بن تومرت وأتباعه إلى تلمسان، والمغرب الأقصى:**

ولما انتهى المهدي بن تومرت في تكوين نواة جماعة أتباعه ضمت ست أشخاص منهم عبد المؤمن بن علي، وعبد الواحد الشرقي، زيادة على شخصية أخرى سيكون لها شأن أكبر في دعوة ابن تومرت، ونقصد به عبد الله بن محسن الونشريسي المكنى بالبشير[18]، الذي درس الفقه، وكان جميلا فصيحا في العربية والبربرية؛ فأمره ابن

تومرت بأن يخفي فصاحته وعلمه، وأن يظهر الجهل والعجز حتى يشتهر به بين الناس وهذا حتى يستعمله كمعجزة من معجزاته باكتسابه العلم والفصاحة دفعة واحدة لما تحين الفرصة[19].

خرج المهدي بن تومرت وأتباعه من ملالة قاصدا المغرب الأقصى؛ فحلوا بتلمسان،وتسامع الناس به؛ وذاع صيته؛ فاستدعاه قاضي تلمسان ابن صاحب الصلاة، ووبخه بالخروج على مذهب بلده، وطلب منه العدول عن مذهبه فأبى، فطرده وأتباعه من تلمسان، ومنها توجه إلى فاس، وقد اجتمع له حشد كبير من الأنصار، وبفاس كان يقوم بنفس العمل الذي كان يقوم به أينما حل ببلد بإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يدعو إلى الاعتقاد على الطريقة الأشعرية؛ فأحظر والي المدينة ابن تومرت، وجمع له الفقهاء لمناظرته، فتغلب عليهم، وهو ما أثار حقد الفقهاء عليه؛ فطلبوا من الوالي طرده حتى لا يفتتن به طلاب العلم والعامة؛ فأمره والي المدينة بالخروج؛ متوجها إلى مراكش، وكتب بخبره إلى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين[20].

**-وصول المهدي بن تومرت وأتباعه إلى مراكش:** لما توجه ابن تومرت إلى مراكش مر في طريقه بمكناس ونهى بها عن بعض المناكير؛ فأوقع به شرار القوم من الغوغاء؛ فأوسعوه ضربا[21]، ثم لحق بمراكش سنة 514هـ/ 1120م، ودخلها رفقة أنصاره، فقام بكسر أدوات الخمر، واعتراض النساء السافرات وتوبيخهن؛ بل ذهب أبعد من ذلك عندما تجرأ على أخت الأمير المرابطي علي بن يوسف عندما اعترض موكبها، ووبخها على سفورها، وأسقطها عن راحلتها؛ فدخلت باكية إلى أخيها الأمير؛ فاستشار الفقهاء في أمره؛ فأشاروا إلى مناظرته فقعد مجلس المناظرة وكان غاصا بالفقهاء، وطلبة العلم، وكبار رجال الدولة، واستطاع ابن تومرت التغلب على الفقهاء؛ فكانت بضاعته علم الكلام، والفلسفة، والمنطق، فكانت الأسئلة تدور حول طرق العلم، وأصول الحق والباطل،...، وغيرها من المسائل، وفي هذه المناظرة انتصر ابن تومرت على الفقهاء المالكيين لتمكنه في الجدال، والاستدلالات العقلية، وفي هذا اللقاء بدأ ابن تومرت يعظ الأمير علي بن يوسف حتى أبكاه، وهنا تنبه أحد وزراء الدولة المرابطية يقال له مالك بن وهيب لخطر ابن تومرت وشعبيته؛ فأشار إلى قتله أو سجنه؛فأراد الأمير علي سجنه لكن أحد كبار المرابطين يقال له عمر بن بنتيان هون عليه الأمر، وأشار بطرده من مدينة مراكش[22].

لكن ابن تومرت نصب خيمته في مقبرة بالقرب من مراكش، وقعد بها فقصده هناك الطلبة فيأخذون عنه العلم حتى كثر تلاميذه وأتباعه، وتكاثر عليه الناس، وأخذ يطعن في المرابطين، ويتهمهم بالكفر والتجسيم، وبأن غزوهم وإسقاط دولتهم أصبح واجبا، فانضم إلى دعوته هذه الكثير من الأنصار أحصاهم عبد الواحد المراكشي على أكثر من ألف وخمسمائة، فهدده حكام الدولة بالقتل؛ فخرج ابن تومرت وأنصاره إلى أغمات[23].

**-ابن تومرت ينظم أنصاره بتنيمل لمواجهة المرابطين:**

ولما حل ابن تومرت بأغمات واصل دعوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحريض ضد المرابطين، وهو الأمر الذي جعل صاحب المدينة يأمر بإخراجه من المدينة وكان قبل أن يُبعد منها مع أنصاره، قد قصد أحد فقهاء أغمات من المصامدة يقال له عبد الحق بن إبراهيم، وهو من فقهاء المصامدة، وأخبره المهدي بن تومرت بمقصده ومشروعه للإطاحة بدولة المرابطين، وأشار عليه الفقيه بأن موقع أغمات لا يصلح له كمركز لمشروعه لموقعها غير الملائم؛ إذ جاءت في أرض منبسطة، وقريبة من عاصمة المرابطين "مراكش" وأشار عليه بمكان

أحصن من أغمات وهو موضع تنيمل، وهو موطن المصامدة، وتنيمل هي قرية تقع على جبل حصين(جبال الأطلس حاليا)، وهي من أكثر المواقع حصنا، وأمنا للمهدي بن تومرت وأصحابه من المرابطين، وجنودهم نظرا لتضاريسها الوعرة، وفي طريقه إلى تينمل عرج ابن تومرت على بعض قبائل المصامدة البربرية في جبال السوس؛ فقصد أولا قبيلة مسفيوة، ثم هنتاتة، ثم إيلكين، وغيرها من القبائل، وكلما مر بهذه القبائل إلا واستقر بها مدة من الزمن يبث دعوته، ويبني المساجد؛ فانضم إليه الكثير من الأنصار، والأتباع ثم توجه إلى قبيلته هرغة، واستقر فيها سنة 515هـ/1121م في مكان حصين يعرف بإيجليز(يعني الجبل) حيث كان يدرس العلم، ويهاجر إليه الطلاب والأنصار، ويخاطب القبائل للانضمام إليه ثم انتقل بعد ثلاث سنوات إلى تينمل، ومنها بدأ يدعوا الناس للهجرة إليه، والانضمام إلى دعوته[24].

**-التنظيم الدعوي للمهدي بن تومرت:**

وتعد سنة515هـ/1121م بداية الدعوة الرسمية للمهدي بن تومرت ضد المرابطين؛ فقد بدأ يدعوهم إلى التوحيد، وإلى قتال المرابطين المجسمين- في نظره- كما اشتغل بتعليم طلبته ويركز لهم على قضية المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، وما أوردته الأحاديث النبوية والأقوال المأثورة عنه، كما وزع خاصته من دعاته بين رؤساء القبائل يمهدون للدعوة ويبشرون بها إلى أن أعلن عن إمامته في يوم 15 رمضان 515هـ/ديسمبر 1121م حيث قام المهدي بن تومرت خطيبا في أصحابه تحت شجرة الخروب، وأعلن أنه المهدي المنتظر[25]، ثم بدأ ينظم أنصاره في تنظيم ديني وعسكري على شكل طبقات هرمية بحسب الأقرب إليه، وأسبقية الناس إلى اعتناق دعوته؛ فكان التنظيم كالآتي[26]:

**-إيت العشرة(أهل العشرة):** أو مجلس العشر، وهم الملازمين لابن تومرت وأول من بايعوه على أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، ويضم هذا المجلس عبد المؤمن بن علي الكومي، وعبد الواحد الشرقي، وأبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف بالبشير وعبد الله بن ملويات وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني، وأبو حفص عمر بن علي أزناج (أصناك)، وغيرهم، وسمي هؤلاء العشرة بالمهاجرين الأولين وبالجماعة، ويعد مجلس العشرة الهيئة التنفيذية للدعوة، أي كالحكومة في عصرنا الحالي التي تصدر عنها القرارات والمخطط الأول للعمل السياسي والعقائدي.

**-إيت الخمسين:** أو مجلس الخمسين، ويضم مجموعة من رؤساء القبائل، ومهمته سياسية واستشارية.

**-إيت السبعين:** وهو مجلس دون سابقه من حيث الأهمية والدور.

وتعد الطبقات الثلاث السالفة الذكر أخلص أنصار المهدي بن تومرت، ثم تأتي بعد تلك الطبقات الأخرى، فضمت الطبقة الرابعة: الطلبة، ثم تليها الطبقة الخامسة، وهي طبقة الحفاظ والتي تضم صغار الطلبة، ثم الطبقة السادسة التي تسمى أهل الدار، وهم أهل بيت المهدي بن تومرت، مع العلم أنه لم يتزوج أو ينجب، وإنما يقصد بهم أهل خدمته، وأقاربه وعشيرته، ثم الطبقة السابعة هي أهل قبيلته هرغة، وموطنه، والطبقة الثامنة تختص بأهل تنملل، والطبقة التاسعة لقبيلة جدميوه، والطبقة العاشرة لقبيلة جنفيسة، والطبقة الحادية عشر لأهل هنتاتة، والطبقة الثانية عشر لأهل القبائل التي حول مراكش كقبيلة هزمير، وهيلانة وهزرجة، والطبقة الثالثة عشر هي الغِرَّات، أي الأحداث الصغار الأميون[27].

وقد وضع المهدي بن تومرت نظامًا صارمًا لمهام كل طبقة، وجعل لكل منها مهام تختص بها، ورُتب لا تتعداها سواء في السفر أو الحضر، وشرع حتى القتل لمن خالف الأوامر والتأديب لمن تخلف عن الحضور، والقتل إذا تكرر الغياب، وشدد ابن تومرت في تنفيذ قوانينه، وضبط الأمور بحزم، وكان هذا النظام هو أساس الدولة الموحدية[28].

ووضع ابن تومرت عقيدة التوحيد باللغة البربرية في كتب ألفها منها كتابه "المرشدة" وكتب أخرى بالعربية والبربرية في العقيدة، والمواعظ، والأمثال ككتاب " القواعد"، وآخر سماه "الأمانة"، وكتب أخرى بالعربية أملاها على عبد المؤمن بن علي ككتاب"أعز ما يطلب" التي جمع فيها عقائد المهدي على مذهب أبي الحسن الأشعري، زيادة على آراؤه الدينية والسياسية[29].

وقام ابن تومرت ببناء داره، ومسجد بتنملل، وسوّر البلد، وبنى قلعة حصينة على قمة الجبل، وواصل ببث دعوته بين القبائل، ومن أقوى قبائل المصامدة التي انضمت إليه هرغة هنتاتة (إينتي)، وهيلانة (إيت إيلان)، وهرغة، وتحولت تنملل إلى مركز كبير لدعوته، ولما انتهى من تنظيم دعوته، وتدعيمها بالهياكل، قام بشن حملاته ضد القبائل التي تخلفت عن بيعته من المصامدة كقبيلة هَزْرَجَة؛ فدخل معهم في مواجهات كثيرة أدت في الأخير إلى الخضوع والطاعة ثم توجه إلى قبيلة هسكورة التي خضعت له بعد حروب، وبعدها بدأ بغزو المرابطين الذين كانوا قد دخلوا في هذه الفترة مرحلة الضعف، وكان ابن تومرت على رأس جماعته يليه في الترتيب عبد المؤمن بن علي ثم الشيخ أبو حفص عمر إينتي الهنتاتي وكان أفراد عائلة بيت عبد المؤمن بن علي يسمون السادة، بينما بيت أبي حفص الهنتاتي يلقبون بالأشياخ، ومن هذين البيتين كانت تتكون رئاسة الجماعة، وأما بيت ابن تومرت فكان يسمى أهل الدار كما ذُكر سابقا[30].

**-حروب الموحدين ضد المرابطين:** أدرك المرابطون بعد فوات الأوان خطورة حركة المهدي بن تومرت؛ فعملوا على تشويه سمعته، والتشهير بأنصاره للحيلولة دون انضمام بقية قبائل السوس إليهم، وأشاعوا بأن الموحدين خوارج، ولما فشلوا في ذلك جهزوا الجيوش للقضاء على ابن تومرت، وأنصاره، فبعث المرابطون ثلاث حملات على التوالي، الأولى بقيادة إبراهيم بن تعيشت عاملهم على بلاد السوس، والثانية بقيادة الأمير أبي إبراهيم إسحاق والثالثة بقيادة سير بن فودي ومهدي بن توالي، وقد فشلت هذه الحملات الثلاث، وألحق بها ابن تومرت الهزيمة[31].

بعد انتصار الموحدين على المرابطين، قويت شوكة المهدي بن تومرت، وذاع صيته في المغرب والأندلس، فانتهز المهدي انتصاراته على المرابطين بشن العديد من الحروب ضد القبائل المجاورة والمرابطين سماها مؤرخا الموحدين البيذق، وابن القطان بالغزوات، وقد عددها البيذق بتسع غزوات قام بقيادتها المهدي بن تومرت في سنة 516هـ/1122م أو 517هـ/1123م، انتصر في معظمها الموحدون ماعدا الغزوة الثانية التي انتصر فيها المرابطون بقيادة سليمان بن يكد، وابن أبي فراس، وعبد الرحمن قاضي السوس ويانو والغزوة الخامسة التي سقط فيها ابن تومرت جريحا، والغزوة السادسة التي لم ينتصر فيها أي طرف، وأما الغزوة السابعة التي قام بها المهدي بن تومرت ضد قبيلة هسكورة قبل خضوعها للموحدين، فقد نشبت المعركة بمكان يقال له "أَزليم" وهي المعركة التي سقط فيها ابن تومرت، وشج رأسه؛ فحمله أصحابه إلى داره[32].

سطر الموحدون بعد نجاح أغلب حروبهم على حصون المرابطين في وادي نفيس، وبلاد هزرجة واغمات هدفهم التالي بغزو مدينة مراكش عاصمة المرابطين بقيادة عبد المؤمن بن علي؛ إذ تنازل له ابن تومرت على القيادة العسكرية والتخطيط السياسي، بينما احتفظ لنفسه الزعامة الروحية والعقائدية، وبعد محاولات عدة حاصر الموحدون مدينة مراكش مدة أربعين يوما؛ وفي خلال هذه المدة أرسل أمير المرابطين علي بن يوسف طلب النجدة من ولاته بالمغرب، فبلغه المدد من والي سجلماسة الذي جمع جيشا كثيرا، وسار به إلى مراكش، فلما قارب معسكر الموحدين، خرج أهل مراكش، ونشب القتال بين المرابطين والموحدين في موضع بالقرب من مراكش يعرف بـ: البحيرة، وانتصر في هذه المعركة المرابطون، وقتل فيها الكثير من الموحدين، وكان من بينهم قائد الموحدين محمد البشير، وقد دفنه عبد المؤمن بن علي في سرية من جنده الذين سألوا عنه؛ فقال أنه استشهد، ورفعته الملائكة إلى السماء، ثم رجع ما تبقى من جند الموحدين في جنح الليل[33].

واستقبل المهدي بن تومرت خبر هزيمة الموحدين في وقعة البحيرة وهو على فراش المرض بحزن بالغ، واشتد ألمه، وكان قد سأل أصحابه عن عبد المؤمن بن علي؛ فقيل له بأنه خرج سالما من المعركة، فطمأنهم، واعتبر بأن نجاة عبد المؤمن بن علي هو نجاة الموحدين كلهم وعلامة على بقاء أمرهم، واستمراره، ثم توفي المهدي بن تومرت بعد أشهر من هذه الهزيمة في 14 رمضان سنة 524هـ/ 21 أوت 1130م، وأوصى بدفنه بجامع تنملل، وكان المهدي بن تومرت قبل وفاته قد أوصى أصحابه بإتباع عبد المؤمن بن علي وتقديمه، وتسليم الأمر إليه، والانقياد له، ولقبه بأمير المؤمنين[34].

وعلى الرغم من وفاة المهدي بن تومرت الإمام الأول للدعوة الموحدية، والقائد الروحي في هذه الظروف إلا أن الموحدين استطاعوا أن يقضوا على دولة المرابطين، وأبقوا على التنظيم الهيكلي للإمامة في دولتهم.

ومهما يكن من أمر حول مدى شرعية دعوة المهدي بن تومرت الإصلاحية إلا أن المصادر وصفته بأنه كان عالمًا، فقيهًا، راوية لحديث النبي ﷺ، حافظًا له، عارفًا بالأصول، عالمًا في علم الاعتقاد، والجدل، فصيح اللسان، ويذكر ابن خلدون بأنه لم تحفظ له فلتة في البدعة إلا تقليده للشيعة في مسألة الإمامة، والقول بالإمام المعصوم[35].

ويلاحظ بأن المهدي بن تومرت قد نهج في دعوته هذه بالسيرة النبوية الشريفة من خلال اختيار عبد المؤمن بن علي الكومي كصديقه المقرب إقتداءً برسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق، وسمى أصحابه بجماعة العشرة أي إسقاطا لصحابة رسول الله المبشرين بالجنة، وكان كثير ما يردد عبارة: " أول من آمن بي"، وفي أثناء دعوته إلى المغرب كان يعتكف بغار رباط هرغة بالمغرب الأقصى إقتداء بتعبد النبي ﷺ في غار حراء، ويُسمي حروبه مع المرابطين بالغزوات، وغيرها من الأمور التي تبين بأنه وضع السيرة النبوية بين عينيه، وهو يقتفي أثرها في دعوته[36].

**خاتمة:**

مما سبق ذكره نستنتج أن قيام دولة المرابطين كان نتيجة لحركة إصلاحية دينية واجتماعية بحتة قامت لمواجهة الانحرافات الدينية والآفات الاجتماعية التي شاعت في المجتمع المغربي كانتشار الجهل بأمور الدين الإسلامي، وشيوع الزنا، وشرب الخمر،وانتشار السرقة، ولم يكن الهدف سياسي إطلاقا، بل غيرة وهمة من المصلح والمجدد الديني الفقيه يحيى بن إبراهيم الجدالي، وهذا بتعليم أبناء جلدته أمور دينهم، وتصحيح عقيدتهم إلى المنهج السني المالكي، وتجسد ذلك فعليًّا بوصول الشيخ الفقيه عبد الله بن ياسين الذي طور المشروع الإصلاحي الاجتماعي إلى مشروع سياسي ديني بإقامة دولة سنية مالكية تجسد في ظهور دولة المرابطين بالمغرب والأندلس.

وأما دعوة الموحدي المهدي بن تومرت الإصلاحية على الرغم من أن ظاهرها ديني من خلال اتهام المرابطين بالتجسيم، والجمود العقلي، واجتماعي على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أن هدف المهدي بن تومرت الحقيقي هو سياسي من خلال طموحه في القضاء على دولة المرابطين، وحل محلها دولة الموحدين الذي هو إمامها، وزعيمها الروحي، وإحلال قبيلته مصمودة كأسرة حاكمة محل قبيلة صنهاجة الحاكمة في دولة المرابطين.

والفرق بين الحركتين أن مبدأ الإصلاح عند المرابطين كان ديني واجتماعي بحت تطور إلى مشروع سياسي، بينما الحركة الإصلاحية عند الموحدين كان مبدئها، وهدفها سياسي واضح استخدمت الدين والإصلاح كوسيلة فقط.

---

الهوامش:

[1] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ضبط المتن ووضح الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ص241. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص ص 267-268. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1990 ص 251.

[2] وهو محمد بن عبد الله بن تومرت، يكنى: أبو عبد الله، ولد سنة 485هـ/1092م في عهد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، ولد ونشأ في قبيلة هَرْغَة إحدى قبائل مصمودة البرنسية التي كانت بجبل السوس بالمغرب الأقصى، اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من ينسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ومنهم من يقول أنه هو الذي أدعى هذا النسب. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص301. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 2004، ص 203. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، ط16، بيروت، 2005، ص ص 238-239.

[3] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 بيروت، 1983، ص46 وما بعدها. ابن سماك العاملي(أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2010، ص147 وما بعدها. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص157 وما بعدها. الناصري السلاوي(أحمد بن خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (د.ت)،ص123 وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص199-200. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص33.

[4] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص ص 156-157.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص ص 7-8. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 242-243. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص271 . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي المرجع السابق، ص251. اختلف المؤرخون حول سبب تسمية صنهاجة الملثمين بالمرابطين، فابن أبي زرع، وابن خلدون والسلاوي الناصري يرون أنه لما بدأ عبد الله بن ياسين دعوته في الصحراء بدعوة من زعيم قبيلة جدالة يحيى بن إبراهيم، ولما

حل عندهم على ساحل بحر المحيط (المحيط الأطلسي) حتى مصب نهر السنغال، بنى عبد الله بن ياسين في إحدى جزر هذا النهر او ساحل البحر رباطه للعزلة والتعبد ولما اجتمع عنده ألف رجل سماهم بالمرابطين، وهناك رأي آخر تبناه ابن عذارى، وابن سماك العاملي صاحب الحلل الموشية فيرى أصحابه أن اللقب أطلقه عبد الله بن ياسين على قبيلة لمتونة بعد المعركة التي انتصرت فيها لمتونة على قبائل البربر الأخرى غير المسلمة، ولشدة صبر لمتونة، وحسن ابتلائها. أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق ج4، ص12. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص66. ابن أبي زرع المصدر السابق، ص125.السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص99. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص272.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص9 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243.حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص183-184.أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ص ص272 -273.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 128-129. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ص ص 274-275.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص244. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 131-132. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص293 وما بعدها.

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 13. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص245. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص127-128. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987 ص181. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 68.

[10] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 173. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 170-171. ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص 301. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس( العصر الثالث، المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الموحدين، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1990، ص 175. وحول اتهامات الموحدين للمرابطين بالتجسيم رد عليها الكثير من المؤرخين المعاصرين كحسين مؤنس، وأحمد مختار العبادي، ومحمد الأمين بلغيث؛ فقد رأوا أنه تحامل مغرض، وشماعة اتخذتها المدرسة الإستشراقية الأوربية أمثال دوزي وغيره لضرب وتشويه دولة سنية مالكية استطاعت أن تكون وحدة سياسية في الغرب الإسلامي، ضمت المغربين الأقصى والأوسط والأندلس والسودان الغربي، كما أنها أوقفت الزحف الصليبي للممالك الاسبانية الشمالية على حساب المسلمين في الأندلس بعد موقعة الزلاقة المشهورة في سنة 479هـ/1086م، كما أن بعض حكام المرابطين كانوا بعيدي البعد عن قضية التجسيم فعلي بن يوسف بن تاشفين ثاني الأمراء المرابطين مثلا الذي ظهر في عهده المهدي بن تومرت كان من أصلح الحكام، وأشدهم تمسكا بالدين. أنظر: حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 310. محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، الجزائر،2006 ص36 وما بعدها.

[11] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص171-172. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص301-302. وقد شكك بعض المؤرخين لقاء ابن تومرت بالغزالي ببغداد كابن خلدون مثلا ، كما فند بشكل قطعي مؤرخون آخرون كابن الأثير لقائه به، أو التتلمذ على يديه ، فقد غادر أبو حامد الغزالي بغداد سنة 500هـ/1106 وتوفي في طوس سنة 505هـ/1111م بينما أن ابن تومرت خرج من بلده إلى المشرق سنة501هـ/1106م؛ أي بعد عام من مغادرة الغزالي مدينة بغداد، بل أن المؤرخ حسين مؤنس يشكك في وصول ابن تومرت إلى الحجاز، والشام، والعراق ويقول أن رحلته المشرقية لم تتجاوز الإسكندرية حيث درس على بعض شيوخها كالطرطوشي وغيره ثم قفل راجعا إلى المغرب؛ كما أن المؤرخ محمد عبد الله عنان يضيف بأن فترة تواجد أبي حامد الغزالي بالمدرسة النظامية كان بين سنتي 484-488هـ/1091-1095م، وفي سنة 488هـ/1095 خرج من بغداد في رحلته التأملية الشهيرة، أي قبل خروج المهدي بن تومرت من بلده،. أنظر: ابن الأثير الجزري(علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، ج9، تحقيق أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت 1987، ص195. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص203-204. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 161.

[12] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 171 وما بعدها. عبد الواحد المركشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب مطبعة ليدن، 1881، ص ص128-129. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص 46. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 246 249.هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان،ط1، عمان 1984، ص 31.

[13] عبد الواحد المركشي، المصدر السابق، ص ص 128-129. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، 164. 4

[14] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 174. ويرى ابن خلكان وابن الأثير أن نزول المهدي بن تومرت بالمهدية كان في سنة 505هـ/1112م في عهد الحاكم الزيري يحيى بن تميم بن المعز بن باديس(501-509هـ/1108 -1115م)، وأن يحيى لما سمع بشأنه استدعاه مع جماعة من الفقهاء؛ فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه ، وأحترمه، وسأله الدعاء، ورحل عن المدينة، وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة ثم سار إلى بجاية.

ابن الأثير، المصدر السابق ج9، ص 195. ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص ص46-47. وأنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 164-165.

[15] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 234-235. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص129. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص ص72-73. عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، دار الوفاء، ط1991،2، المنصورة، ص148 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج4، ص232.

[16] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 302-303. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 174-175. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 129-130. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 249. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص229.

[17] هو عبد الله الشرقي، واسمه الأول يرزيجن بن عمر، أصله من قرية ملالة ، لقي بها المهدي بن تومرت بعد عودته من المشرق؛ فسماه عبد الواحد. البيذق(أبوبكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين دار المنصور، الرباط، 1971، ص34. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130. وتذكره بعض المصادر كابن سماك العاملي، وابن خلدون بأبي محمد عبد الله البشير, كما أن بعضهم يشير بأن لقاء المهدي بن تومرت كان بتلسمان أو بالقرب منها، وقال بعضهم أنه ألتقاه بموضع يقال له بفنزارة من بلاد متيجة إذ كان عبد المؤمن يعلم الصبيان في القرية المذكورة، كما أن لقاء ابن تومرت بالبشير يشير بعض المؤرخين بأنه إلتقاه بوانشرس بالمغرب الأوسط لما غادر ابن تومرت ملالة نحو المغرب الأقصى. أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص303. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 175. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130.

[18] من أهل المغرب الأوسط، لقيه المهدي بن تومرت بجبال ونشريس أثناء عودته من رحلته المشرق إلى المغرب فتتلمذ على المهدي وأعجب به، وتبعه، وصار من خواصه، وكان من العشرة الذين سارعوا إلى بيعته، توفي في معركة البحيرة بمراكش التي انهزم فيها الموحدون على أيدي المرابطين يوم السبت 2جمادى الأولى 524هـ/ 12 أفريل 1130. البيذق المصدر السابق، ص 19.

[19] ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص48.

[20] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 173.عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 132. حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 206.

[21] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303.

[22] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 196. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 133. ابن خلكان المصدر السابق، ج5، ص ص49-50. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 169. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 251. وتذكر بعض المصادر كالبيذق وابن خلدون على سبيل المثال مثلا بأنه لما دخل المهدي بن تومرت إلى مراكش قصد مسجد صومعة الطوب فمكث به إلى غاية يوم الجمعة ثم أقبل على جامع علي بن يوسف بن تاشفين فوجد علي بن يوسف قاعدا والوزراء واقفون فوعظه ثم خرج إلى باب المسجد وقعد حتى خرج الناس من المسجد ثم دخل مع الفقهاء في مناظرة إلى أن انتصر عليهم، ثم خرج إلى مسجد عرفة فمكث فيه أياما عديدة إلى أن جاءت المناظرة التي كانت في بلاط الأمير علي بن يوسف بن تاشفين. البيذق، المصدر السابق، ص27. ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص 303.

[23] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 196. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 133. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 251.

[24] ابن القطان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، ص 78. ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص ص 50-51. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،172.

[25] البيذق، المصدر السابق، ص35. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 175-176. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 133-134. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 304.

[26] البيذق، المصدر السابق، ص ص34-35. ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 82. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 176 وما بعدها. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 134 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 304.حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 252 وما بعدها.

[27] ابن صاحب الصلاة عبد الملك، المن بالإمامة تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1987، ص ص 41-42. ابن القطان، المصدر السابق، ص 82. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 173-174. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.

[28] ابن القطان، المصدر السابق، ص 83. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص174- 175.

[29] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 179-180. عبد الواحد المراكش، المصدر السابق، ص 134. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص175. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص229.

[30] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص304. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.

[31] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 178-179. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 40-42

[32] البيذق، المصدر السابق، ص35 وما بعدها. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 200. ابن القطان، المصدر السابق، ص 130. محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ص 180. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 41.

[33] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 200. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص186

[34] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 201.ابن القطان، المصدر السابق، ص ص 160-161. ابن سماك العاملي المصدر السابق، ص188. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 138. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 305. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 179-180. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 190-191. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 255. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 44.

[35] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 305. وأنظر:ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 181-182. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص137.

[36] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 229.